باب
فى مطاعمة الملوك

تخفيف الأكل بحضرة الملك

ومن حق الملك ـ إذ تبذّل مع أحدٍ وأَنِسَ به حتّى طاعمه ـ أنْ لا ينبسط بين يديه فى مطعمه. فإنّ فى ذلك خلالًا مذمومة:

منها. أنّ انبساطه يدلُّ على شَرَهه؛

ومنها. أنّ فى ذلك سوءَ أدبٍ وقِلّةَ تمييزٍ؛

ومنها. أن فيه جُرْأةً على الملك ببسط اليد ومدِّها وكثرة الحركة.

وليس فى كثرة الأكل مع الملك معنًى يُحمد. إلّا أن يكون الآكلُ كَمَيْسَرَةَ التَّرّاسِ أو حفصٍ الكَيّال(١). الذين إنما يحضرون لكثرة الأكل فقط. فأما أهلُ الأدب وذوو المروءة، فإنما حظُّهم من مائدة الملك المرتبةُ التى رفعهم إليها والأُنْسُ الذى خصَّهم به.

---

(١) أورد المسعودىّ هذين الاسمين هكذا: "ميسرة التمّار" و"حاتم الكيّال". وسمّى طابع الابشيهىّ أوّلهما "ميسرة البرّاش". وقد أوردا، هما والراغب الإصفهانىّ، نوادر كثيرة لطيفة لمشاهير الأكَلة تكتفى بالاشارة إلى مواطنها للرجوع إليها. ونذكر فقط أسماءهم بالترتيب، فهم: أبو الحسن بن بكر العلّاف الشاعر، أبو العالية، أبو مُرّة، أحمد بن أبى خالد الأحول، أحمد بن أبى دُوَاد، إسحاق الحمامىّ، بسرة الأحول، بلال بن أبى بُردة، الحجاج بن يوسف الثقفىّ، حفص (أو حاتم) الكيّال، درواس، دورق القصّاب، زهمان، سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموىّ)، العادل الأيّوبىّ (سلطان مصر)، عبيدالله بن زياد بن أبيه، عمرو بن معديكرب، قاسم التمار، قُفّ المقمِّم، محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبىّ، مزود، معاوية بن أبى سفيان (الخليفة الأموى)، ميسرة (البرّاش أو التراس أو التمّار)، هلال بن الأسعر، هلال بن سعد المازنىّ، هلال بن مسعر التيمى، وزوجته، الواثق (الخليفة العباسى). (أُنظر "العقد الفريد" ج ٣ ص ٣٨٤ ـ ٣٨٦؛ و"مروج الذهب" طبع باريس ج ٥ ص ٤٠١ و ٤٠٢ وج ٦ ص ٢١٥ ـ ٢١٨، وج ٧ ص ١٧٠، وج ٨ =

* قال: وحدّثنى إبراهيم بن السندىّ [بن شاهَك](١) عن أبيه، قال: دخل شابٌّ من بنى هاشم(٢) علىٰ المنصور، فاستجلسه ذاتَ يومٍ ودعا بغدائه، وقال للفتىٰ: أُدْنُهْ. فقال الفتىٰ: قد تغدّيتُ. فكفَّ عنه الربيعُ حتّىٰ ظننتُ أنه لم يفطَن لخطإِه. فلمّا نهض للخروج، أمهله. فلمّا كان من وراء السِّتر، دفع فى قفاه. فلمّا رأىٰ الحجّاب ذلك منه، دفعوا فى قفاه حتّىٰ أخرجوه من الدار. فدخل رجالٌ من عمومة الفتىٰ فشَكَوُا الربيعَ إلىٰ المنصور. فقال المنصور: إنّ الربيع لا يُقْدِم علىٰ مثل هذا، إلا وفى يده حُجّة؛ فإن شئتم أغضيتم علىٰ ما فيها، وإن شئتم سألته وأنتم تسمعون. قالوا: فسَلْهُ! فدعا الربيعَ، وقصُّوا قصّته. فقال الربيع: "هذا الفتىٰ كان يُسلَّم من بعيدٍ وينصرف. فاستدناه أمير المؤمنين، حتّىٰ سلّم عليه من قريب، ثم أمره بالجلوس. ثم تبذّل(٣) بفضيلة المرتبة التى صيّره(٤) فيها أنْ قال حين دعاه إلى طعامه: "قد فعلت." وإذًا ليس عنده لِمَن أكل مع أمير المؤمنين إلّا سَدّ خَلّة الجُوع. ومِثلُ هذا لا يقوّمه القوْل دون الفعل"(٥)".

= ص ١١٠؛ و"كتاب البخلاء" للجاحظ ص ٢١٥ و ٢١٦؛ و"الأغانى" ج ٢ ص ١٨١ — ١٩٠؛ و"شذرات الذهب فى أخبار من ذهب" ج ١ ص ١٢٧؛ والفصل السادس من الباب الثانى من القسم الثالث من الفن الثانى من "نهاية الأرب فى فنون الأدب" للنويرىّ؛ و"المستطرف" ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥؛ و"مطالع البدور فى منازل السرور" ج ٢ ص ٥٧؛ و"محاضرات الراغب" ج ١ ص ٣٩٢؛ والطبرىّ سلسلة ٣ ص ١٤٠٤؛ و"بدائع الزهور" لابن إياس (جزء ١ ص ٧٧) و"شرح المقامات" للشريشى ج ١ ص ٢٣٧ و ٢٤١ و ٢٤٢؛ وكذلك "الأغانى" (فى فهرسه عن بعض الأسماء التى أوردناها). هذا وقد صنف المدائنى كتابا فى "أخبار الأكلة" ذكره "صاحب الفهرست" ص ١٠٤ ولم يصل الينا سوى اسمه فيما أعلم.

(١) ذكره فى "تاج العروس" فى مادة س ن د، وأورد له شعرًا.

(٢) هو محمد بن عيسى بن علىّ الهاشمى [كما فى "المحاسن والمساوى"].

(٣) أى الفتى. [وروى الجاحظ هذه الحكاية بهذه الألفاظ عن ابراهيم بن السندى عن أبيه فى كتاب "البيان والتبيين" ج ٢ ص ٣٨ — ٤٨]

(٤) أى الخليفة.

(٥) هذه الفقرة المحصورة بين النجمتين * منقولة عن صه. وقد أوردها صاحب "المحاسن والمساوى" بعبارة أخرىٰ (ص ١٧٢).

حدّثنى أحمد بن عبد الرّحمن[١] الحرّانىّ. قال: "كنتُ أحضر على مائدة إسحاق ابن إبراهيم[٢]، أنا وهاشم ابن أخى الأبرد والنّاقدىّ[٣]. فكنتُ أُعدُّ على مائدته ثلاثين طائرا. فأما الحُلُوّ والحامض والحارّ والقارّ[٤]، فأكثر من أن أُحصيه. فلا نرزأُ[٥] من ذلك كلّه إلّا مقدار ما يأكل الطائر. إنما نكسر الخبز بأطفارنا." قلتُ: فما كان يُنَشّطكم؟ قال: لا، ولو فعل ما فعلنا. قال: فما هو إلّا أنْ نتوارى عن عينه حتّى ننتهب.

وكذلك يجب للملوك أنْ لا يشرَهَ أحدٌ إلى طعامهم، ولا يكونَ غرضُه أن يملأ بطنَهُ وينصرفَ إلى رَحْله[٦]: إلّا أنْ يكون الآكلُ أخا الملك أو ابنَه أو عمَّه أو ابن عمّه. أو مَن أشبه هؤلاء، ويكون أيضا ممن يُقْصَر بعد الأكل[٧] ويُطيل المنادمة، ويجعل ما يأكل غذاء يومه وليلته، إذ كان لا يمكنه الانصرافُ متى شاء[٨].

(١٠) عقوبة الشره عند الفرس

وكانت ملوكُ فارس، إذا رأت أحدًا فى هذه الحال التى وصفنا من شره المطعم والنَّهَم، أخرجوه من طبقة الجِدّ إلى طبقة الهزل، ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار والتصغير.

---

(١) سـ: عبد الرحيم. ورواية صـ ربما كانت أصح، فقد ذكر الطبرىّ رجلا بهذا الاسم (سلسلة ٣ ص ٢٣٨١) ووصفه بالراوى.

(٢) هو الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعبى حاكم بغداد فى أيام المأمون والمعتصم والواثق وهو الذى سيرد ذكره كثيرا فى هذا الكتاب.

(٣) سـ: "الحرّانى قال كنت أعدّ على مائدة ثلاثين". والتكميل عن صـ.

(٤) صـ: والبارد.

(٥) أى: نُصيب منه. يقال: إنه لقليل الرَّزْء من الطعام، أى قليل الإصابة منه. (تاج العروس)

(٦) بيته.

(٧) صـ: "هؤلاء. ولا يكون إلا من يقيم بعد الأكل".

(٨) روى هذه الآداب بزيادة وباختصار فى "محاسن الملوك" (ص ٢٩) وأورد فيها قولهم: "موائد الملوك للشَّرَف لا للشَّرِه."

والملك ـ وإن بسط الرجُلَ لطعامه ـ فمن حقِّه علىٰ نفسه وحقِّ الملك عليه أنْ لايترك آستعمال الأدب ولا يميلَ إلىٰ ماتهوىٰ طبيعتُهُ. فإنّه من عُرِف بالشَّرَه، لم يجب له آسم الأدب؛ ومَن عُرف بالنَّهَم، زال عنه آسم التمييز.

وإذا وضع الملك بين يدىْ أحدٍ طعامًا، فليعلمْ ذلك الرجُلُ أنه لم يضعه بين يديْه ليأتيَ عليه، بل لعلّه ـ إن كان لم يقصد بذلك إلىٰ إكرامه أو مؤانسته ـ أنْ يكون أراد أنْ يعرِف ضبطَهُ نفسَه، إذا رأىٰ مايشتهى من بسطه لها.

وحسْبُ الرجُل[1] ـ إذا أتحفه الملك بتُحفة علىٰ مائدته ـ أن يضع يَدَهُ عليها. فإن ذلك يُجْزِئُه[2] ويزيد فى آدابه[3].

بين معاوية والحسن آبن علىّ بشأن دجاجة

ألا ترىٰ إلىٰ مُعاوية بن أبى سُفْيَان حين وضع بين يدىْ الحسن عليه السلام دَجاجةً[4] ففكّها، نظر إليه معاوية فقال: هل كان بينك وبينها[5] عداوة؟ فقال له الحسن: هل كان بينك وبين أُمِّها[6] قرابة؟

(١) صـ: ويجب على الرجل.

(٢) أى يكفيه.

(٣) أوردصاحب "محاسن الملوك" هذه الآداب المتقدمة مختصرة فى باب أدب مؤاكلة الملوك. (ص ٢٩)

(٤) صـ: "بين يدى سيد جليل دجاجة".

(٥) صـ: "وبين أُمِّها".

وقدروى هذه الحكاية صاحب "المستطرف" وعلّق عليها بقوله: "أراد معاوية أنّ الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس الملوك، والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة". (ج ١ ص ٢١٣)

(٦) تغدّى رجل مع بعض الرؤساء، فقدّم إليه جديا، فجعل يُمْعن فيه. فقال له الرئيس: إنك لتزقّه حتى كأنّ أباه فطمك! فقال له: وأنت تُشفق عليه كأنّ أُمه أرضعتك. فخجل وآنقطع. (أُنظر "مطالع البدور فى منازل السرور" ج ٢ ص ٥٢)

صفات معاوية فى خاصته وسائر قواعد مملكته

إنّ هذا الكلام الذى دار بينهما قد قَرَحَ[1] فى قلب كلّ واحد منهما. ومعاويةُ لم يقل هذا القول، لأنه كان يعظُم عليه قدْر الدجاجة.

فكيف يكون ذلك، وهو يكتب إلى أطرافه وعمّاله و إلى زيادٍ[2] بالعراق بإطعام السابلة والفقراء وذوى الحاجة. وله فى كل يوم أربعون مائدة يتقسّمها وجوهُ جُند الشام؟ ولكنْ علم أنّ من حقّ الملك توقيرَ مجلسه وتعظيمَه. وليس من التوقير والتعظيم مدُّ اليد و إظهارُ القَرَم وشدّةُ النَّهَم وطلبُ التشبُّع بين يدَىِ الملوك و بحضرتها.

وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم من لَدُنْ أردشيرَ بن بابك إلى يَزْدَجِرْدَ[3].

اختبار سابور لرجل رشحه لقضاء القضاة

ويقال إنّ سابورَ ذا الأكتاف[4]. لمّا مات مُوبَذَانُ مُوبَذ[5]، وُصِف له رجلٌ من كُورة إصْطَخْر، يصلُح لقضاء القضاة فى العِلم والتألُّه والأمانة. فوجّه إليه. فلمّا قَدِم، دخل عليه. ودعا بالطعام ودعاه إليه. فدنا فأكل معه. فأخذ سابور دَجاجة فنصّفها.

(١) معناه جَرَح. وفى س: "قدح".

(٢) هو زياد ابن أبيه الذى استلحقه معاوية ببيته. وأخباره مشهورة معلومة تكفلت بها كتب التاريخ والأدب. (وانظر "العقد الفريد" ج ٣ ص ٢ — ٦). وهو أول من أخذ الناس بقانون العجم (محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر). وللدايني كتاب فى أخباره، وكتاب فى ولده ودعوته (عن الفهرست ومعجم الأدباء لياقوت). وللهيثم بن عدىّ كتاب فى أخباره ويسميه (فى الفهرست) زياد بن أمية، وذلك تصحيف من الناسخ أو الطابع، وإلا فلا خلاف فى أنه زياد ابن أبيه.

(٣) بعضهم يضبط هذا الاسم بفتح الجيم وبعضهم بكسرها. وطائفة تقول بالروايتين. والصواب الكسر دون سواه، وهو الذى اعتمده الإمام الذهبىّ فى كتاب "المشتبه فى الأسماء"، وكذلك العلّامة رتشارد صُن فى معجمه الفارسىّ العربىّ الإنكليزىّ.

(٤) تعريب شاه پور. وسماه العرب ذا الأكتاف لانه انتصر عليهم فخلع أكتافهم.

(٥) أى قاضى القضاة فى دولة الفرس قبل الإسلام. وبقيت وظيفة الموبذ أى القاضى إلى أواخر الدولة العباسية، للقيام بأمور المجوس الذين دخلوا فى الذمة.

ووضع نصفَها بين يدَي الرجُل ونصفَها بين يديْه. ثم أومأ إليه أن كُلْ من هذه، ولا تخلِطْ بها طعامًا، فإنّه أمرأُ لطعامك وأخفُّ علىٰ مَعِدتك. وأقبل سابور علىٰ النصف، فأكل كنحو ما كان يأكل. ففرغ الرجُل من النصف قبل فراغ سابور. ثم مدّ يده إلىٰ طعام آخر، وسابورُ يلحظه.

(١٢) فلما رُفعت المائدة قال له: وَدِّع وانصرف إلىٰ بلدك! فإنّ آباءنا وسَلَفَنا من الملوك كانوا يقولون: "من شَرِهَ بين يدَي الملك إلىٰ الطعام كان إلىٰ أموال الرعيّة والسُّوقة والوضعاء أشدَّ شَرَهًا." فلم يستكفِه(١) علىٰ ما كان أحضره(٢) له

عدم النظر للملك عند مؤاكلته

ومن حقّ الملك أنْ لا يرفع أحدٌ إليه طَرْفَهُ، إذا أكل، ولا يحرّك يده معه في صَحْفَة.

التسوية بين الملك وبين مدعوّ به

ومن قوانين المُلك أن توضع بين يدىْ كلِّ رجُلٍ صحفةٌ فيها كالذى بين يدَي الملك من طعامٍ غليظٍ أو دقيقٍ أو حارّ أو قارّ، ولا يخُصّ الملك نفسَه بطعام دون أصحابه. لأن في ذلك ضَعَةً علىٰ المَلك ودليلا علىٰ الاستئثار.

---

(١) في سه: لم يستنكفه. ولعلها محرفة عن "لم يستكفِه" بمعنى أنه لم يطلب كفايته لمؤونة العمل، وكثيرا ما يستعمل الجاحظ وغيره، استكفاه بمعنى ولاه [انظر البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٦] ومن هذه المادة "الكفاة" وهم العُمّال أهل القدرة على العمل والنهوض به. [أُنظر ص ٥٠ س ٧ — ١١ من هذا الكتاب]، ومنها أيضا "كافي الكفاة" لوظيفة كبيرة كانت في الدولة الإسلامية. يؤيد ذلك أنه قيل لعروة بن عدىّ ابن حاتم (وهو صبيٌّ) في وليمة كانت لهم: قِفْ بالباب، فاحْجُبْ مَن لا تعرف وأَدْخِلْ مَن تعرف. فقال: والله لا يكون أوّلُ شيْ أستكفيه منعَ الناس عن الطعام! (طراز المجالس للشهاب الخفاجي ص ٩٢). هذا. وربما يجوز أن تكون محرفة عن "يستكفه" أي "يجده كفؤا". والذى في صه: "فلما رفعت المائدة اليه إلا أن نفسل ونحدد". [وليس للجملة بقية، وهي مبتورة ومشوّهة، كما ترى].

(٢) وردت هذه القصة بحروفها ماعدا بعض ألفاظ في صحيفتي ٢٦ و ٢٧ من كتاب "تنبيه الملوك والمكايد". وهي مختتمة بهذه العبارة: "فلم يستكفه لما كان أحضره إليه وعوّل فيه عليه". ووردت أيضا مبتورة في "محاسن الملوك" (ص ٢٩ و ٣٠)

غسل اليد بحضرة الملك

ومن حقّ الملك أنْ لا يغسل أحدٌ بحضرته يديْه من خاصّته وبِطانته[1]، إلّا أنْ يكون معه مَن يساويه فى الجاه والعز والبيت والولادة. فقد بيّنا مايجب لأولئك آنفا.

يناس الملك لمن تحته

ومن العدل أن يُعطِيَ الملك كلَّ أحد قِسطَه[2]، وكلَّ طبقةٍ حقَّها، وأن تكون شريعةُ العدل فى أخلاقه كشريعة مايقتدى به من أداء الفرائض والنوافل التى تجب عليه رعايتُها والمثابرةُ على التمسُّك بها، وإيناسُ الناس فى بَسْط أيديهم فى الطعام حتّى يُسَوِّىَ فى ذلك بين الملوك والنَّمَط الأَوْسط والعامّة.

١٣

مباينة الملوك لمن سواهم

وليس أخلاقُ الملوك كأخلاق العامّة. وكانوا لايُشَبِّهون فى شىء[3]. وإنما تحسن كثرة الأكل مع الصديق والعشير والمُساوى فى منازل الدنيا من الرفعة والضَّعَة. فأما الملوك فيرتفعون عن هذه الصفة ويَجِلّون عن هذا المقدار.

قيام الملك عن الطعام

ومن حقّ الملك — إذا رفع يديْه عن الطعام — أنْ يَنْهَض عن مائدته كلُّ مِنَ الحافّ[4] بها حتى يتوارَوْا عنه بجدارٍ أوحائلٍ غيره. فإن أراد الدخول، كان ذلك بحيث لايرون قيامه؛ وإذا أراد القعود لهم، دخلوا إليه بإذنٍ ثانٍ.

منشفة الدَّفَر

ومن قوانين الملك أن يكون منديل غَمَره[5] كمنديل وجهه فى النقاء والبياض. وأنْ لايعاد إليه إلّا أنْ يُغسَل أو يُجدّد.

---

(١) أُنظر فى الحاشية التى فى ص ١١٦ ما كان يفعله آبن دأب من غسل يده فى حضرة الخليفة الهادى.

(٢) فى سـ: "بقسطه". وليست هذه الفقرة واردة فى صـ.

(٣) فى سـ: "لايشتهون فى شىء". وليست هذه الفقرة واردة فى صـ.

(٤) أراد "الحافّين" فوضع المفرد فى موضع الجمع، بآستعمال "أل" التى للجنس. ومثل ذلك كثير فى عبارات البلغاء.

(٥) فى سـ: "عمره" بالمهملة. وصوابه بالمعجمة، والغَمَر بالتحريك زُنَخ اللحم وما يعلق باليد من دسمه. وهو يماثل ما نسميه الآن فى مصر: فوطة الدَّفَر. وليست هذه العبارة واردة فى صـ.

حديث الملك على المائدة

ومن حقّ الملك أن لا يُحَدَّث على طعامه بحديث جِدٍّ ولا هزلٍ. وإن ابتدأ بحديث، فليس من حقّه أن يُعارَض بمثله. وليس فيه أكثرُ من الاستماع لحديثه، والأبصارُ خاشعةٌ.

مزمزة الفرس على طعامه وامتناعه من الكلام

ولشيءٌ ما كانت ملوك آل ساسان — إذا قُدِّمتْ موائدهم — زمزموا عليها، فلم ينطق ناطقٌ بحرفٍ حتّى تُرفع. فإن اضطُرُّوا إلى كلام، كان مكانه إشارةٌ وإيماءٌ يدلُّ على الغرض الذى أرادوا والمعنى الذى قصدوا(١).

(١) الزمزمة: تراطُنُ العلوج على أكلهم، وهم صُموتٌ، لا يستعملون لسانا ولا شفة فى كلامهم؛ لكنّه صوتٌ تُديره فى خياشيمها وحلوقها، فيفهم بعضها عن بعض. وقد زمزم العلج، إذا تكلف الكلام عند الأكل، وهو مُطبِقٌ فمه. وقال الجوهرىّ: الزمزمة كلام المجوس عند أكلهم. زاد ابن الأثير [فى النهاية]: بصوت خفىّ (عن تاج العروس). وذلك يرادف قول الفرنسيين Marmotter.

قال فى مروج الذهب: "ذكروا أن كيومرث هو أوّل من أمر بالسكوت عند الطعام، لتأخذ الطبيعة بقسطها، فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء. وتسكن النفس عند ذلك، فتدبر لكل عضو من الأعضاء تدبيراً يُؤدّى إلى مافيه صلاح الجسم من أخذ صفو الطعام. فيكون الذى يرد إلى الكبد وغيره من الأعضاء القابلة للغذاء ماينا سبها وما فيه صلاحها. وإن الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب، انصرف قسط من التدبير وجزء من التغذى إلى حيث انصباب الهمة ووقوع الاشتراك، فأضرّ ذلك بالنفس الحيوانية والقوى الإنسانية. وإذا كان ذلك دائما، أدّى ذلك إلى مفارقة النفس الناطقة المميزة الفكرية لهذا الجسد المرئىّ. وفى ذلك ترك الحكمة وخروج عن الصواب." (مروج الذهب طبع باريس ج ٢ ص ١٠٨ — ١٠٩)

وأقول إن عادة العرب والإفرنج قد جرت على خلاف ذلك.

وبمناسبة الزمزمة، نروى ما حكاه ابن النديم فى كتاب "الفهرست" (ص ١٩) عن الجاحظ فى "البيان والتبيين" إن "للزنج خطابة وبلاغة على مذهبهم وبلغتهم، وإن من رأى ذلك وشاهده قال إذا حزبتهم الأمور ولزّتهم الشدائد، جلس خطيبهم على ماعلا من الأرض وأطرق، وتكلم بما يشبه الدمدمة والهمهمة، فيفهم عنه الباقون. قال الجاحظ: وإنما يظهر لهم فى تلك الخطابة الرأى الذى يريدونه فيعملون عليه. والله أعلم".

وكانوا يقولون: "إن هذه الأطعمة بها حياةُ هذا العالَم. فينبغى للإنسان أنْ يجعل ذهنه فى مطعمه ويَشْغَل رُوحه وجوارحه فيه. لأنْ تأْخذ كلُّ جارحة بقسطها من الطعام، فيغتذى بها البدنُ والرُّوح الحيوانية التى فى القلب والطبيعةُ التى فى الكَبِد، آغتذاءً تامًّا. وتقبله الطبيعة قبولا جامعا."

وفى ترك الكلام على الطعام فضائل(١) كثيرة هى فى آيينهم(٢) تركنا ذكرها، إذ كانت ليست من جنس كتابنا هذا.

---

(١) صـ : وفى ترك الكلام فضائل.

(٢) الآيين كلمة فارسية عرّبها العرب وآستعملوها. ومعناها القانون والعادة. (وآنظر ص ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب)

قال السيد صديق بن حسن خان فى "لف القماط فى تصحيح ماتستعمله العامة من المعرّب والدخيل والمولد والأغلاط" مانصه: "آيين بمعنى العادة. وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة. أنجمى عرّبه المُوَلّدون. وفى الكشاف: ليس من آيين الملوك آستراق الظفر." وعلى هامشه للسيد نور الحسن مانصه: "أى فى سورة النمل. قيل لذى القرنين: بيّت على العدو! فقال: ليس من آيين الملوك آستراق الظفر. وقال مهيار فى قصيدة له:

يَجْمَعُ الخَرِّيتُ حَوْلًا أَمْرَهُ * وَهْوَ لَمْ يأْخُذْ لَهَا آيِينَهُ"

وهاتان العبارتان منقولتان بدون تنبيه عن "شفاء الغليل" للخفاجى. والخرّيت هو الدليل البصير بالطريق. وكلمة "آيين" لا تزال مستعملة إلى الآن بهذا المعنى عند الفُرس والأتراك.

وفى المعجم الفارسى العربى الانكليزى تأليف رَشاردسُن مانصه:

آيين = An institution, rite, custom, or ordinance, canon, usage, prescription. Common law (in contradistinction to the laws delivered by Muhammad, and which are called شرع). Mode, form, manner.

ولآيين المُقَفَّع تأليفٌ بهذا الآسم ذكره صاحب الفهرست. وكلام الجاحظ هنا يدل على كتاب بعينه ضمّنه الفُرس مجموع القوانين والنواميس والعادات والآصطلاحات المقررة عندهم. وإلى "آيين الأكاسرة" أشار البيرونى فى "الآثار الباقية عن القرون الخالية" (ص ٢١٨)

"قال: وحدّثنى بعض المُحَدِّثين قال: قال بعض الأُمراء ـ وأظنه بلال بن أبى بُردة[(١)] ـ لأبى نَوْفل الجارود بن أبى سَبْرة[(٢)]:

ماذا تصنعون عند عبد الأعلى [بن عبدالله بن عامر بن كريز القرشى][(٣)]، إذا كنتم عنده؟

قال: نشاهد[(٤)] أحسن حديث وأحسن استماع، ثم يأتى الطّباخ فيتمثّل بين عينيه، فيقول: ماعندك؟ فيقول: عندى لون كذا، ودَجاجة كذا، ومن الحلواء كذا.

قال: ولِمَ يسأَلُ عن ذلك؟

قال: ليقصّر كلّ رجُلٍ عمّا لايشتهيه، حتّى يأتيه بما يشتهى. قال: ثم يُؤْتَى بالخِوان، فيتضايق ويتّسع، ويقصر ويجتهد. فإذا استغنى، خَوَّى[(٥)] تَخْوِيَةَ الظليم[(٦)] ثم أكَلَ أكْلَ الجائع المقرور[(٧)].

قال: والجارود هذا هو الذى قال: "سوء الخُلُق يُفسد العمل، كما يفسد الخَلُّ العسل."[(٨)]

---

(١) كان أميرًا على البَصرة وكان قاضيا. وهوأوّل من جار فى القضاء. كان يقول: إن الخصمين يتقدّمان إلىّ فأجد أحدهما أخفّ على قلبى من الآخر، فأقضى له. (محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر). وكان مع ذلك كريما مدحه ذو الرُّمّة والحُطَيْئة. وانظر ترجمته فى خزانة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ٤٥٣)، وله فى "الأغانى" و"كامل" المبرِّد ذكر كثير (انظر فهارسهما).

(٢) الهُذلىّ البصرىّ. صدوقٌ. تُوُفِّى سنة ١٢٠ (تقريب التهذيب للحافظ العسقلانىّ ص ٢٨)

(٣) الزيادة عن "العقد الفريد" وفهرس الطبرى.

(٤) فى الأصل وهو صـ: فشاهدنا.

(٥) الخَوَاء والخَوَاء: الجوع. والخَوىُ والخَواءُ خُلُوُّ الجوف من الطعام. وخَوِىَ خَوًى وخَوَاءً: تتابع عليه الجوع. وخَوَّى الطائر تخوية بسط جناحيه، وذلك إذا أراد أن يقع (عن تاج العروس). ولعلّ هذا المعنى الأخير هو الذى أراده الجاحظ، لأنه فى كتاب الحيوان يُلحق النعام بالطير.

(٦) الذكر من النَّعام.

(٧) روى هذه الحكاية صاحب "العقد الفريد" بزيادة ونقص فى الألفاظ والمعانى (ج ٣ ص ٣٨٢)

(٨) هذه الفقرات المحصورة بين نجمتين * * منقولة عن صـ.